ܟܬܒ ܗܕܝܐ ܠܟܠ ܡܢ ܕܒܥܐ

اللغة السريانية
إضاءة جوانب من التراث السرياني

البروفيسور. د. عبد المسيح سعدي

ܒܝܬ ܣܘܪܝܝܐ ܐܠܟܬܪܘܢܝܐ
المدرسة السريانية الإلكترونية
Syriac Electronic School

06.12.2021 المدرسة السريانية الإلكترونية

اللغة السريانية ، و إضاءة جوانب من التراث السرياني

د. عبد المسيح سعدي

مقدمة

عنوان هذه الورقة يوَضّح جلياً صلة الموضوع بلغة وتراث سوريا بتعريفها الجغرافي الواسع أي "سوريا الكبرى،" أو بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.[1] فالسريان بتسمياتهم التاريخية المتعددة[2] هم السليل الأصيل لسكان هذه المنطقة. لغتهم السريانية (الآرامية) تُعتبر مِنْ أقدم اللغات المكتوبة بالأحرف الابجدية، وما زالت تُكتبْ منذ ثلاثة آلاف سنة. وهذه الأحرف الابجدية، وهي أم ابجديات لغات العالم، ابْتُكِرتْ في سوريا نفسها. وما زالت معظم الأسماء السريانية للأماكن والمدن والقرى على امتداد الجغرافية السورية حيّة متداولة إلى يومنا هذا. لغة بهذا القدم أنتجت لسوريا ولِلبشرية تراثاً أدبياً وحضارياً خالداً ما زال الكثير مِنه حيّا ملازماً للنشاط اليومي، وما زال معظمه قابلاً للإحياء ومُكَمِّلاً للعلوم الإنسانية على المستويين المحلي والعالمي.

ورَغم انّ موطن اللغة السريانية هو سوريا، بالدلالة الجغرافية الواسعة، فقد انتشرت اللغة السريانية\الآرامية عبر تاريخها الطويل غرباً إلى اسبانيا، وشرقاً إلى فارس وأفغانستان والهند والصين، وشمالاً من جورجيا وأذربيجان إلى مصر ودول الخليج، وتركتْ آثارها الحضارية فيها. وفرضت نفسها "كلغة مشتركة" (Lingua Franca) بين مختلف الشعوب لأكثر من ألف عام. وقيل انَّه لَم تجار اللغة السريانية لغة أُخرى، حتى ولا اليونانية، في اتساعها اللهم إلا الإنكليزية في العصر الحالي.[3] ولغة بهذا القدم عبر التاريخ، كُتِبَ بها أدبيات أديان متعددة كالوثنية، والزرادشتية، والبوذية، واليهودية، والسامرية، والمندائية (الصابئة)، والمسيحية، والإسلام أيضاً. فهذا الانتشار الواسع السِّلمي بامتياز يَدل على نشاط أهلها العلمي والإنساني والحضاري، ويدلّ على مرونة اللغة ذاتها بالتعبير عن مشاعر الانسان المشرقي وأفكاره.

كما انّ السريان هم سكان سوريا،[4] فمعظم سكان سوريا هم سريان (سوريون) بغض النظر عن أديانهم وطوائفهم ومعتقداتهم وعقائدهم السياسية.[5] فالغزوات والفتوحات والاحتلالات من الخارج لأرض سوريا لم

---

[1] سأستخدم اسم "سوريا" بهذا المفهوم الواسع في هذه الورقة، ولا اقتصرها على الحدود السياسية للجمهورية العربية السورية.

[2] للاطلاع على تعددية الأسماء عبر التاريخ، انظر المطران مار غريغوريوس صليبا شمعون، "اللغة السريانية: ماضيها وحاضرها،" *مجلة بين النهرين* (1973): العدد 1، 13-35. وللمزيد من التفصيل، سعد سعدي، "السريان تسمية ودلالة،" مجلة كرمو (1999): مجلد 1: 2، 5-34. وبالإنكليزية انظر اقرأ للدكتور ريتشارد فراي،

Richard Frye, "Syria and Assyria: Synonyms," *Journal of Near Eastern Studies*, V. 51:4 (1992): 281-285, esp. 281.

[3] في حديثه عن الثقافة السريانية والانتشار الواسع لغتها، يستشهد السامرائي بكثير من الباحثين، وعن لامس يقتبس القول المذكور أعلاه. انظر إبراهيم السامرائي، *دراسات في اللغتين السريانية والعربية* (بيروت: دار الجيل، 1985)، 7-8.

[4] موسى بن كيفا، مطران الموصل وبيت رمان، من القرن التاسع، يتكلم عن مدلول كلمة "سريان" فيقول، "انّ السريان هم من أرض سوريا" ܗܘ̈ܢܘܢ ܕ̈ܡ ܡ̈ܢ ܐܪ̈ܥܐ ܕܣ̈ܘܪܝܐ.

Abdul Massih Saadi, *The Commentary of Moshe bar Kepha on the Gospel of Luke* (Piscataway: Gorgias Press, 2020), 156, 336.

[5] لا شك في أنّه كان وجود لأقوام ولاثنيات أصيلة في سوريا كالفينيقيين مثلاً، ولكن منذ القرن الثالث قبل الميلاد غلبت عليهم التسمية السريانية\السورية. فالمؤرّخ سترابو (كتاب 17: 3) يسمّي مناطقهم بـ"Syrophoenicia" أي "سوريا-فينيقيا"، كما يُسَمّي انجيل مرقص "الامرأة الكنعانية" بـ"Surophoinikissa"، أي "سورية-فينيقية."

تُغيّر هويّة سكانها السريان في الجوهر. فالسَّيطَرة الفارسيّة، ثُمَّ اليونانية والرومانية على بلاد سوريا والتي استمرّت لمدة ألف عام تقريباً (332 قبل الميلاد إلى 641 بعد الميلاد) لم تُغيّر هوية السريان الثقافية ولم تُبَدّل لغتهم أو فخرهم بحضارة بلادهم كما نقرأ في كتابات طيطيان الآثوري (120-180) وبرديصان الرهاوي (154-222) ومار آفرام النصيبيني (303-373)، ومار يعقوب السروجي (451-521)، ومار طيمثاوس الأول (823-727) على سبيل المثال كما سيأتي ذكرهم. أما الجيوش العربية الإسلامية التي دخلت على سوريا من شبه الجزيرة العربية واستقرت لم تشكّل نسبة سكانية مهمّة رغم سيطرتها العسكرية الواسعة. فعلى مَدى خمسمئة سنة من الحكم العربي-الإسلامي لسوريا تَبَدَّلت إلى حدٍ ما الديمغرافيا الدينية واللغوية لسكانها، ولكنها لم تُبَدّل جوهر الهوية السريانية وعطاءها الثقافي. فقد كان السريان المصدر المهني والثقافي والعصب الحضاري للدولة الأموية ثم العباسية.

ففي سوريا اليوم، ما زال سكان بلدتي بخعة وجبعدين، في جبال القلمون، يتكلمون اللغة السريانية، وجميعهم من المسلمين (منذ أحداث 1840)، إلى جانب بلدة معلولا حيث انّ معظم سكانها من المسيحيين. ويُسمّون لغتهم "سوريُن"، أي سريانية أو سوريّة. كما انّ المندائيين ما زالوا يتكلمون إحدى اللهجات السريانية، وهم ليسوا بمسلمين أو مسيحيين، ومثلهم معظم اليهود في العراق الشمالي يتكلّمون واحدة من اللهجات السريانية. وكل المسيحيين الناطقين بالسريانية يُسَمّون لغتهم "سورث ܣܘܪܝܬ" عند الشرقيين، "سورايت ܣܘܪܝܐܝܬ" أو "سورُيو ܣܘܪܝܝܐ" عند الغربيين، أي السريانية. فكافة أسماء اللهجات السريانية المحكيّة ما زالت تُشير إلى انتمائها لسوريا. ورغم انّ السريان كتبوا بلغات عديدة كاليونانية والعربية والفارسية، ولكنَ حديثنا هنا، في السطور القادمة، سيتركّز على التراث السرياني المكتوب باللغة السريانية. ولكبر هذا الموضوع وتشعبه، سأنتقي بعض الجوانب منه التي لم أجدها متوفّرة للقرّاء باللغة العربية.

ما هي اللغة السريانية الفصحى

اللغة السريانية "الفصحى" (ܣܘܪܝܐ ܦܫܝܛܬܐ) هي إحدى اللهجات الآرامية، اكتسبت أهميتها القصوى بَعد ترجمة الكتاب المقدس إلى هذه اللهجة في القرن الثاني الميلادي، وصارت ملازمة لمعظم كتابات الادب السرياني المسيحي وغير المسيحي.[6] بينما ترجع الكتابات باللغة الآرامية القديمة إلى الألف الأول قبل الميلاد،[7] فإنَّ أقدم أثر كتابي لهذه اللهجة الآرامية (السريانية "الفصحى") يعود إلى السنة السادسة الميلادية، في مدينة الرها.[8] فبسبب وجود أقدم الآثار المكتوبة لهذه اللهجة (والتي سُمّيت فيما بعد بالسريانية الفصحى) في مدينة الرها، ارتأى كثير من المختصّين على انها كانت لهجة الرها؛ ربما كانت اللهجة الآرامية المستخدمة بين تجّار "طريق الحرير" الذي كان يمر في طوال الجغرافية السوريّة الكُبرى من غربها إلى

[6] هناك كتابات مسيحية، وترجمة لأجزاء من الكتاب المقدس بلهجة سريانية "فلسطينية،" وتُسَمّى أيضا "السريانية القديمة"، منذ القرن الرابع الميلادي. وهناك كتابات سريانية كثيرة غير دينية منذ العصور الأولى للمسيحية. للمزيد من الاضطلاع عن الادب السرياني غير الديني، انظر:
S. Brock, “Secular Literature,” Pages 451-474 in *Nos sources. Arts et littérature syriaques*. Sources syriaques 1 (Antélias: Centre d’Études et de Recherches Orientales, 2005).

[7] Holger Gzella, tr. B. Suchard, Aramaic: A History of the First World Language (Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 2021), 37.

[8] Han J. Drijvers, and John Healey, *The Old Syriac Inscriptions of Edessa and Osrhoene: Texts, Translations and Commentary* (Leiden/ Boston/ Koln: Brill, 1998), 140.

شرقها.[9] وقد إدّعى بعض الكتّاب الأوائل، في كتاب "*مغارة الكنوز*"، انّ الانتشار الواسع للغة السريانية هو لغاية إلهية، لنشر التعاليم السمحة بين الشعوب.[10]

اغتنت اللغة السريانية بتفاعلها النشط مع التراث المكتوب وغير المكتوب للغات المجاورة؛ بالإضافة إلى ما كُتِبَ باللهجات الآرامية القديمة المتعددة، فقد تفاعلت اللغة السريانية مع خمسة مصادر رئيسية: أولاً من آداب بلاد ما بين النهرين القديمة، من سومر، آكاد، بابل، ونينوى. ثانياً استقت وتشرَّبت من الآداب العبرية الكتابية وتقاليدها المتعددة. وثالثاً تفاعلت بنشاط مع التراث الادبي الفارسي ومعتقداته الكثيرة. ورابعاً تفاعلت تفاعلاً ندّاً مع اللغة اليونانية حتى القرن السابع، وأخيراً مع اللغة العربية من القرن الثامن وإلى الآن. هذا التفاعل النشط أغنى اللغة السريانية وجعلها لغة قادرة على استيعاب كافة أنواع العلوم المتوفرة حينئذ وكل أشكال الآداب المتعددة.

فإلى هذه اللغة نُقل كثير من الأدب المكتوب بلهجات آرامية قديمة. فمثلاً قصة أحيقار الحكيم، الوارد ذكره في النصوص الأكادية، وهو مستشار الملك الآشوري سنحاريب (705-681 ق.م)، ووزير الملك أسرحدون (680-669 ق.م)، كُتِبَتْ بلهجة آرامية في القرن السادس قبل الميلاد،[11] وورد ذكر أحيقار في سفر طوبيّا.[12] وفي القرون الأولى للمسيحية، تُرجِمَت إلى السريانية بصيغ عديدة. لقد تجذّر تأثير هذا الأثر الكتابي الهام في المجتمعات السريانية قبل وبعد الميلاد. فاعتماداً على هذا الأثر الكتابي، قارن الدكتور انيس فريحة جانب من الامثال اللبنانية وحكم احيقار ليظهر مدى تأثيره وتجذّر هذا التراث الحِكَمِي في كامل الجغرافية السورية وإلى يومنا هذا.[13] وقد خَصّص الملفان\ الاستاذ سعد سعدي في كتابه *الأرومة السريانية للهجة المارديني*ة فصلاً عن تأثير حكم أحيقار في الامثال المارديني.[14] وتُرجمت حكمة أحيقار إلى لغات عديدة منذ القرون الأولى للمسيحية، وبقيت آثاره في آدابٍ كثيرة تحت مُسَمّيات مختلفة، كقصّة "*حياة وحكم إسوب*"[15] اليونانية (القرن الأول)، وقصّة حكم لقمان في الأدب العربي المبكر، وله سورة كاملة في القرآن.[16]

---

[9] لمزيد من الاطلاع على موقعها في الخارطة اللغوية بين اللغات الساميّة للمنطقة، انظر:
J. Huehnergard, The Semitic Languages, 2nd ed. (London and New York: Routledge, 2019); Efrem Yildiz, "The Aramaic Language and Its Classification," *Journal of Assyrian Academic Studies* 14:1 (2000): 23-44.

[10] W. Budge, *The Book of the Cave of Treasures: A History of the Patriarchs and the Kings, Their Successors, from the Creation to the Crucifixion of Christ, Translated from the Syriac Text of the British Museum MS. Add. 25875* (London: The Religious Tract Society, 1927).

[11] بولس بهنام، *أحيقار الحكيم* (بغداد: 1976)، 71-93؛ وانظر، أفرام برصوم، *اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية* (ط 6؛ حلب: دار ماردين للنشر، 1996)، 50.

[12] سفر طوبيّا 1: 21-22؛ 2: 10؛ 11: 18؛ 14: 10، 15.

[13] أنيس فريحة، *أحيقار: حكيم من الشَّرق الأدنى القديم* (بيروت: 1962).

[14] سعد سعدي، *الأرومة السريانية للهجة المارديني*ة (طبعة ثانية؛ دهوك: دار المشرق الثقافية، 2021).

[15] J. Landsberger, *Die Fabeln des Sophos: Syrisches Original der griechischen Fabeln des Syntapis* (Posen: Louis Merzbach, 1859).

[16] S. Brock, "Ahiqar," in S. Brock et al. (eds.) GEDSH (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2011), 11-12.

ومن الادب الأكادي والآشوري والبابلي، تَبنّى الكتّاب السريان الأسلوب الادبي والشعري المُمَيَّز، بمضمونه الثقافي والادبي والحضاري.[17] فالأدب الحواري، مثلاً، كان رائجاً وغنياً في الأدب السومري، الأكادي؛ وأضحى من الأساليب الكتابية المحبّبة عند السريان. وعن طريق السريان انتقل إلى الأدب العربي، ومنه إلى الادب الغربي في العصور الوسطى.[18]

وتفاعلت اللغة السريانية مع اللغة العبرية وتراثها بشكل رئيسي في ترجمة كافة أسفار العهد القديم كافة، إضافة لِأعمال أدبيّة أخرى. وقد انفردت الترجمة السريانية بقراءات مميّزة هامّة للأسفار العبريّة تعكس بعض مفاهيم وتقاليد عبرية خاصّة في تلك الحقبة. ومن اليونانية تُرجمت أعمال أدبية وفلسفية كثيرة إلى اللغة السريانية، كـ "حكم مينانْدرز"، وتتضمن حوالي مائة حكمة. وكما حدث في كثير من الاعمال اليونانية، فُقِد الأصل اليوناني، وبقيت الترجمة السريانية شاهداً لهذا الإرث العلمي.[19] وهناك إرثٌ ايزيدي هام مكتوبٌ بالسريانية، كُتِب بأسلوب دفاعي عن المعتقدات الايزديّة وتاريخها.[20] أما التفاعل مع الادب العربي بعد القرن السابع فلا حد له. فمنذ البدايات الأولى لظهور الإسلام، برزت أهمية اللغة والعلوم والآداب السريانية؛ ونذكر هنا ما جاء في التراث الإسلامي، وتحديداً في الحديث الشريف عن أهمية اللغة السريانية، كونها مفتاحاً للثقافة والحضارة وبناء الدولة من جهة، وسهولتها وسلاستها بالنسبة للناطقين بالعربية من جهة أخرى. جاء في *صبح الأعشى*: "وقد روى محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة، بسنده إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه أنّه قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنه يَرِدُ عَلى أشياءُ من كلامِ السُّريانيّة لا أُحْسِنُها. فَتَعَلَّمْ كلامَ السريانيّة. فتَعَلَّمتُها في سِتّةِ عشَرَ يوماً." وفي رواية أُخرى قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله أتُحسِنُ السريانية؟ فإنَّهُ تأتيني بها كُتُبٌ؟ قلتُ: لا. قالَ: تَعلَّمْها. فتعلَّمْتُها في سبعةَ عشرَ يوماً."[21] وحيث أننا نتكلم فقط عَمّا كُتب باللغة السريانية، فهناك ترجمة لمجموعة من السور القرآنية مكتوبة باللغة السريانية تعود إلى آواخر القرن الثامن.[22] ربما تُرجمت لفائدة السريان الذين صار دينهم الإسلام. وأكّد كثير من الباحثين أنّ اللغة السريانية وتراثها أضحت جسراً لنقل الثقافات والعلوم ما بين روما وفارس، بين بيزنطية وبغداد، وبين المسيحية والإسلام.[23]

التراث السرياني المسيحي

أهم ما يستوقف المختصين في الاكاديميات الغربية هو ما دَوّنه وَأَلّفَه وأنتجه السريان في العصور الأولى للمسيحية، وهو ما يُسَمّونه "التراث المسيحي السرياني." فهذا التراث يتميز بنشأته في الثقافة المحلية المشرقية واللغة السريانية، لغة السيد المسيح وتلاميذه والارساليات الأولى نحو المشرق. هذا بالمقارنة مع

---

[17] S. Brock, "The Dispute Poem: From Sumer to Syriac," *Bayn al-Nahrayn* 7 [28] (1979): 417-426.

[18] S. Brock, "The Dispute between Soul and Body: An Example of a Long-Lived Mesopotamian Literary Genre," *ARAM* 1:1 (1989): 64.

[19] S. Brock, "Secular Literature," Pages 451-474 in *Nos sources. Arts et littérature syriaques*. Sources syriaques 1 (Antélias: Centre d'Études et de Recherches Orientales, 2005).

[20] مخطوط "ماردين 384" ويحتوي على 26 ورقة. النسخة المصوَّرة موجودة في معهد دراسة المخطوطات السريانية في جامعة شيكاغو.

[21] أبي العباس احمد القلقشندي، *صبح الأعشى* (ج 1؛ القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922)، 165.

[22] Alphonse Mingana, "An Ancient Syriac Translation of the Ḳur'ān Exhibiting New Verses and Variants," *Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester* 9:1 (1925): 188-235.

[23] أحمد أمين، *ضحى الإسلام: نشأة العلوم في العصر العباسي الأول* (ج 2؛ القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2003)، 59–63.

التراث المسيحي اليوناني، والتراث المسيحي اللاتيني، الذي لا يَمتُ بصلة مباشرة إلى لغة وثقافة المنطقة التي نشأت فيها تعاليم السيد المسيح. علماء الغرب المختصون يُقرّون بضرورة دراسة "التراث المسيحي السرياني" كثقافة حضارية عالمية لاكتمال فهم "التراث المسيحي العام". بعضهم يُسَمّون التراث السرياني المسيحي بـ"العمود الثالث للطاولة،" إلى جانب "العمود اليوناني والعمود اللاتيني." ويُشبّهونه أيضا ب "الرئة الثالثة" اللازمة لتغذية الجسم المتكامل للتراث المسيحي في العصر الحديث[24]، ومصدره سوريا. وفي مسعى لتوثيق فيلم "آلام السيد المسيح،" الناطق باللغة الآرامية، احتاج مخرجه الشهير مال جيبسون وفريقه المجيء إلى سوريا للاطلاع والانتفاع بما يلزمهم من لغة وسياق لإتمام مهمة إخراجه. ومن خلال هذا الفيلم، تعرَّف معظم مشاهدي الفيلم حول العالم على حقيقة انَّ لغة السيد المسيح كانت السريانية، وما زالت لغة حيّة في سوريا. وهكذا ما زال التراث السرياني يحمل مشعلاً حضارياً أمام الحضارة العالمية، وسوريا مَنارَتُها.

إحدى ميزات الادب السرياني المسيحي هي الأسلوب الشعري المُبَسّط، والتركيز على مغزى الكلمة وأصولها. فهذا الأسلوب يُعتبر استمرارية لجانب كبير من ادبيات بلاد سوريا قبل المسيحية، ثم أسلوب معظم نصوص الكتاب المقدس العبري، وكما سيكون لاحقاً (القرن السابع) أسلوب النصوص القرآنية. وعن أهمية هذا الأسلوب، بالمقارنة مع الأسلوب اليوناني، يمتدح مار يعقوب السروجي (451-521، وهو من مدينة سروج شمال كوباني الحالية) هذا الأسلوب في كتابات مار آفرام النصيبيني (303-373، وهو من مدينة نصيبين-القامشلي)، فيقول:[25]

ܘܗܠܢܐ ܠܡܫܡܫܐ ܒܚܟܡܬܐ ܕܒܐ ܟܠܗܘܢ
ܒܟܠܐ ܡܠܬܐ ܡܕܡ ܗܘ ܒܫܡܗ ܕܐܚܕ ܡܬܚܙܐ.
ܡܠܦܘܢ ܠܟܠܗܝ ܒܚܟܡܬܗ ܡܫܡܫܐ
ܫܟܚ ܩܠܝܠ ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܕܡܬܟܬܒ ܒܗ ܐܠܗܐ ܕܟܠ.

البليغ المبدع الذي غلبَ اليونان في حَديثه
استطاع انْ يُضمّن الكلمة الواحدة آلاف العِبَر
عازف القيثار الإلهي الذي بأناشيده
أغْنَى كلماته للتَّسْبِيح بإبداعٍ عظيم.

وعن المدلول التصويري للكلمة وأصولها، نؤتي بالمثال التالي: كلمة المحبّة (Love تعني to cherish) مثلاً، في السريانية تأتي من الجذر السامي المشترك "رحم **ܪܚܡ**، **ܪܘܡ**، من أصل رحم الأم". وبالتالي المدلول السرياني لكلمة "رحمَ، يَرحَم (**ܪܚܡ**، **ܪܘܡ**)" يُترجم للعربية بـ: أحبَّ، يُحبُّ، ومعنى "أحبّ" بالسريانية يفيد العناية المطلقة والإخلاص والحنان كما تتصرف الأم تجاه جنينها في رحمها، وقد تصل إلى درجة التضحية بنفسها من أجل سلامة جنينها. وعندما يَرد هذا الجذر في الوزن الثاني (ܦܥܠ)، كما يقابله بالعربية وزن "فعَّل"، أي المبالغة في معناه، فيأخذ بالسريانية معنى "رَحَمَ، يرحَمُ"، أي أحبّ حبّاً جَمّاً لا

[24] Brock, S., "The Syriac Orient: A Third 'Lung' for the Church?," *Orientalia Christiana Periodica* 71:1 (2005): 5.
[25] J. Amar, *A Metrical Homily on Holy Mar Ephrem by Mar Jacob of Sarug: Critical Edition of the Syriac Text, Translation and Introduction*, Patrologia Orientalis 47.1 (Turnhout: Brepols, 1995), 32-33.

يمكن وصفه، ولا قدرة للبشر القيام به، إلا الله. هذه الكلمة وَجدت استخدامها في المفردات العربية، مثل الرحمن الرحيم، والرحمة، وجميع هذه الصيغ تأتي من معنى "المحبة" في اللغة السريانية. فهوذا اغوسطين (ت 450) يشرح الثالوث الاقدس بمدلول كلمة المحبة. فهو يقابل الآب بالمحِب، والابن بالمحبوب، والروح القدس بالمحبة.[26] هذه التعابير الثلاثة تقابلها باللغة السريانية **ܪܚܡܢܐ** (رُحمَنٌ): المُحِب، وفي حالة الجزم **ܪܚܡܢ** (رُحمَنْ): مُحِب؛ **ܪܚܝܡܐ** (رحيمٌ): المحبوب، وفي حالة الجزم **ܪܚܝܡ** (رَحيمْ): محبوب؛ **ܪܚܡܬܐ** (رَحمَةٌ): المحبة، وفي حالة الجزم **ܪܚܡܬ** (رحمة): محبة. بمثل هذه التعابير، كان المسيحيون الناطقون بالسريانية أو العربية يلفظونها ويعظون ويتعظون بها.

جانبٌ مهمٌ من التراث الكتابي السرياني المبكّر، في القرن الثاني والثالث للميلاد، كان نصوصاً شعرية على اختلاف المواضيع التي تناوَلتها، كـ"إنشودة الجوهرة" في كتاب "أعمال توما،" و"عروس النور،"[27] و"قصائد سليمان".[28] ولكن أكثر الشعراء شهرةً كان مار آفرام النصيبيني ويُعرَف أيضاً بالسرياني، من بدايات القرن الرابع. كل أشعار مار آفرام ومداريشه وأناشيده كانت تعليمية مصاغة بأسلوب مُبَسَّط ومعان عميقة[29]؛ قدَّمها بأسلوب ينسجم مع عادات وتقاليد ومفاهيم ولغة مجتمعه السرياني من خلال الأناشيد في السهرات اليومية. تبدأ الانشودة عادة بـ "أيّها الشَّعْبُ، أيَّتُها الشَّعوب، هلمّوا اسمعوا..." **ܟܬܒ ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܒ ܪܗܐ ܡܕܝܢܬܐ...**

كثيرٌ من الكتّاب السريان كَتَبوا وعَلَّموا بالأسلوب الشعري الإنشادي، بعيداً عن التراكيب البلاغية المعقدة، بالمقارنة مع عسرِ الكتابات اليونانية واللاتينية. فقد أقرّ العلماء المختصون انّ الأسلوب السرياني في معظمه يمثل استمرارية التراث المشرقي السامي القديم، وهو متجذّر في نصوص الكتاب المقدس.[30] ولئن كتب مار افرام وعلّم وأدار الكثير من هذه "السهرات" أو الاجتماعات في مدينة نصيبين، ثم في الرها، كانت هذه النشاطات جزء من العادات الشعبية المتوارثة للسريان؛ وهي بمثابة مدرسة تعليمية شعبية. ونَرى انّ النشاط الثقافي مُتأججاً، والمنافسة محتدمة أحياناً بين مديري الاجتماعات المنتشرة في الرها. فمار آفرام، مثلاً، ينتقد أحّد معاصريه من مديري إحدى الاجتماعات الإنشاديّة، واصفاً أناشيده بالثرثرة واجتماعاته بغير الهادفة.[31] وقبل مار آفرام، برز اسم الفيلسوف والشاعر برديصان (154-222) يترأسُ مثل تلك الاجتماعات لإنشاد

---

[26] Whitney J. Oates, *Basic Writings of St. Augustine*, Vol. 2 (Grand Rapids: Baker Books, 1992), 790.

[27] P. Bedjan, *Acta martyrum et sanctorum* (Paris / Leipzig: Otto Harrassowitz, 1892) vol. 3, 3–167. (Syr.).

[28] J. H. Charlesworth, *The Odes of Solomon: The Syriac Texts*, SBL Texts and Translations 13 (Missoula, Montana: Scholars Press, 1977).

[29] ينتقد مار آفرام الفلسفة اليونانية بتعقيداتها الكثيرة، ويَدعوها "سم اليونان." يقول في كتابه عن الايمان:
ܠܐ ܐܡܪ ܐܢܐ ܕܐܠܗܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܡܢ ܒܪ ܐܢܫ ܐܠܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܡܢ ܒܪ ܐܠܗܐ ܘܐܠ ܬܗܘ ܠܟ ܐܢܫ ܕܡܠܐ ܐܢܫ ܘܐܠ ܬܗܘ ܠܟ ܐܠܗܐ ܕܡܠܐ ܐܠܗܘܬܐ ܘܐܢܫܘܬܐ
هنيئاً لمن لم يذق سم اليونان القاتل (فلسفتهم). هنيئاً لمن لم يستغنِ عن بساطة (تعاليم) الرسل.
Edmund Beck, ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955), II:24.

[30] S. Brock, "The Syriac Orient," (2005): 7-8.

[31] E. Beck, ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955) XXII: 12. يقول: **ܐܡܪ ܘܐܠ ܡܕܡܪ ܐܢ ܐܝܬ ܐܢ ܐܝܬ ܡܬܬܚܕܐ** (يثرثر كالسكران هو وسامعيه)

تعاليمه.[32] ويُخبرنا عنه مار آفرام انّه ألّف مئة وخمسين نشيداً تيمناً بمزامير داود المئة والخمسين. فكان لمثل هذا الأسلوب الشعبي دوراً تعليمياً ونشراً لأفكار المعلمين وانتقالها من جيل إلى جيل.

الانتماء للأرض والاعتزاز بالتاريخ

يَعتَزُّ مار آفرام بأرض أبائه، ما بين النهرين: دجلة والفرات، مؤكّداً انّ فيه غرز الله الفردوس، ومنه ابتدأت الحياة، وفيه ستستقر إلى الابد. في شرحه لقصة الخليقة والفردوس، يتكلّم عن الأنهار الأربعة، شيحون وجيحون، ويوضّح منشأهما. أما عن نهري دجلة والفرات، فيقول لسامعيه في مدينة نصيبين: ܕܡܠܐ ܥܡ ܒܢܝ ܥܡܡܟ ܐܟ ܕܓܠܬ ܘܦܪܬ. "أما دجلة والفرات، ها إنّنا نعيش بينهما."[33]

وعن عراقة ما بلاد ما بين النهرين وثقافتها، بالمقارنة مع بلاد يهوذا، يقول في نشيد آخر: لتشكر عشرات ألوف الألسنة (الرب) من أجل بلادنا. فيها سار إبراهيم وابنه يعقوب، وسارة ورفقة وليئة وراحيل، وكذلك أحد عشر سبطاً. من غناكِ اغتنت صهيون بأولاد يعقوب.
ثم يتكلم عن ظهور النجم الذي ظهر للمجوس، بحسب انجيل متى 2: 2 "فقَد رأَينا نَجمَه في المَشرِق، فجِئْنا لِنَسجُدَ لَه." يقول ما آفرام: "اسمُ أرضنا أكبر من أقرانها... النور الذي خرج منكِ أضاء الدنيا. لانّ الشمس الجديدة التي ظهرت في المسكونة، في أرضنا ظهرت وانتقلت، وأعطت شعاع نورها في بيت لحم. نعم منكِ ظهر أولاً."[34] وبذلكَ، وبحسب مار آفرام، فان "بلادنا" لها أسبقية في ظهور السيد المسيح فيها، قبل بَيتِ لحم.

وفي معرض شرحه عن ظهور النجم المُشع، يُعَرّف هؤلاء المجوس بأنّهم الآشوريون والكلدان، حيث أجدادهم سبوا إسرائيل ويهوذا بأمر الله لشرور ملوكهم. والآن هوذا احفاد الكلدان والآشوريين، يُعيدون جوهر ما غنموه من إسرائيل ويهوذا إلى الملك الموعود، السّيد المسيح، الذي ليس لملكه انقضاء. يُذكّر مار آفرام انّ آحاز ملك يهوذا استنجد بملك آشور تغلث فلاصّر ليخلّصه من أعدائه؛ وكما ورد في سفر الملوك الثاني أنّ " آحازُ أَخَذَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ المَوجودَةَ في بَيتِ الرَّبِّ وفي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَها إِلى مَلِكِ أَثورَ هَدِيَّةً."[35] ويعكس مار آفرام هذه الواقعة، أي طلب ملوك يهوذا النجدة من الاشوريين ليخلصوهم، وإرسال الهدايا إلى ملك الآشوري تغلت فلصّر، يعكسها بعودة الاشوريين أنفُسِهم لطلب الخلاص من "الملك" المسيح، وتقديم الهدايا له. يقول: [36]

---

[32] Han J.W. Drijvers, *The Book of the Laws of Countries: Dialogue on Fate of Bardaisan of Edessa*, Semitic Texts with Translations 3 (Assen: Van Gorcum, 1965); "Bardaisan of Edessa and the Hermetica: The Aramaic Philosopher and the Philosophy of his Time," *Ex Oriente Lux* 21 (1970): 190-210.

[33] Raymond Marie Tonneau, ed., *Sancti Ephraem Syri in Genesim et in Exodum commentarii*. CSCO 152-153, Syr. 71-72 (Louvain: L. Durbecq, 1955): 29:4-5. ܐܡܪ ܐܦܪܝܡ ܣܘܪܝܝܐ ܒܦܝܫܛܐ ܕܒܪܝܫܝܬ ܘܒܦܪܘܫ ܡܘܫܐ ܕܐܠܗܐ ܕܒܪ ܡܢ ܒܪ ܐܝܬ ܠܢ ܐܦ ܠܐ ܕܓܠܬ ܘܦܪܬ ܗܠܐ ܐܢܚܢ ܕܝܪܝܢ ܥܡܟ ܒܝܢ ܥܡܡܟ ܐܟ ܕܓܠܬ ܘܦܪܬ ܗܠܐ ܐܢܚܢ ܕܝܪܝܢ ܥܡܟ ܒܝܢ ܥܡܡܟ.

[34] E. Beck, ed., *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen auf Abraham Kidunaya und Julianos Saba*, CSCO 322, Syr. 140 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1972): 6:9-10.

[35] راجع الملوك الثاني 16: 1-9.

[36] E. Beck, ed, *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Nativitate (Epiphania)*, CSCO 186, Syr. 82 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1959): XIX: 5-6, p. 100.

ܘܐܡܪ ܐܢ ܚܙܝܐ ܠܐܫܘܪܝ ܕܐܫܐܠ ܘܐܡܪ ܠܗ ܫܘܙܒܢܝ.
ܟܕ ܐܬܘ ܠܘܬ ܚܙܝܐ ܐܬܘ ܠܗ ܫܘܕܪ ܠܐ ܫܘܙܒܢ.
ܘܫܕܪ ܚܙܝܐ ܐܬ ܢܦܫܗ ܠܐܫܘܪܝܐ.
ܟܕ ܐܬܘ ܫܘܕܪ ܠܗ ܢܨܒ ܐܬ ܫܘܙܒܢ...
ܟܕ ܐܬܘ ܠܗ ܢܨܒ ܐܬ ܚܙܝܐ ܘܐܡܪ ܠܗ ܫܘܙܒܢ.

أَرسل آحاز للآشوري طالباً: "تعال وخلّصني." نعم كانوا مُنهَزمين،
بكَ (يا يسوع) نَهضوا، وإليكَ أتوا بهداياهم.
برسل آحاز، أخضعَ آحاز نفسَه للآشوريين،
بكَ (يا يسوع) خضع الآشوريون لكَ برسلهم (المجوس).
لَكَ أيها المسجود، سَجَد الجبابرة الذين كان يُسجَد لَهم.

وأيضاً يتكلم عن توسّل حزقيا، ملك يهوذا، لملوك بابل بحمايته بمقابل ما يطلبونه من هدايا.[37] وفحوى القصّة ان حزقيا أظهر لرسل ملك بابل ما يملكه من كل غناه وخزائنه من الذهب والفضة، مما أدهش الرسل، وبالتالي كان سبباً لسبي بني يهودا إلى بابل. يقول مار آفرام:[38]

ܗܘ ܙܒܢ ܐܬ ܐܘ ܐܘܨܝ ܟܐ ܫܡܥ.
ܠܡܐ ܐܠ ܢܐ ܘܫܐ ܢܨܒ.
ܐܝ ܫܡܥ ܐܢ ܟܝ ܐܬ ܐܘ ܫܡܥ.
ܘܐܡܪ ܐܠ ܟܕ ܟܕ ܐܬ ܐܢ.

أرسلت بابل قرابين لملك حزقيا.
ودُهشَ رسل بابل بخزائنه (حزقيا).
أما أنتَ (يا يسوع)، فماذا أظهرتَ للمجوس؟ أظهرت عجباً.
فأتوا وسجدوا لك وانتَ زاهدٌ (عن الغنى).

وعلى خطى مار آفرام، يُعَبّر مار يعقوب السروجي (451-521) عن فخره ببلاده "بلاد ما بين النهرين" حيث ظهر فيه أولاً "شمس البر،" أي السيد المسيح، ومنه أنار للبشرية جمعاء. فيقول:[39]

ܡܕܝܢܬ ܦܠܛܝ ܕܙܪܥܘܗܝ ܕܢܘܗܪ ܚܫܟܐ:

ܟܕ ܐܝܬܝܗ ܚܕܐ ܫܡܫܐ ܕܫܦܪ ܘܫܕܪ ܠܥܠܡ:

ܡܢܗ ܐܢܚܢ ܟܠܗܝܢ ܢܗܝܪܝܢ ܘܐܝܟ ܚܕ.

[37] راجع الملوك الثاني 18-20.

[38] E. Beck, ed, *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Nativitate (Epiphania)*, XIX, 10-11, p. 101.

[39] Paul Bedjan (ed.), *Homiliae selectae Mar-Jacobi Sarugensis* vol. 1 (Paris: Harrassowitz, 1905); the reader may consult the text published online: https://syriaccorpus.org/345.

شمسُ البِر البهي أشرق في بَلدنا

بكَ أنارت كل أصقاع المعمورة المظلمة

وفاضت الأرض التي أُرسِلتَ إليها بنورك البهي

أهمية الحرية

امتاز الادب السرياني في التأكيد على أهمية وقداسة الحرية. فلا يخلو نص سرياني في التراث السرياني من التأكيد على انّ الحرية تعكس "صـــورة الله في الانســـان،" وهي ما تُميّزه عن باقي المخلوقات، الحيوانية منها والجمادات. فلم يشأ الله نزع هذه الحرية عن الانسان، حتى حين تَمَرَّد آدم على إرادة الله، وبالتالي لم ينزع عنه إنسـانيته رغم أنّه بحريته اختار ان يسـلك طريق آخر. فيُميّز الفيلسـوف برديصـان الرهاوي، منذ القرن الثاني الميلادي، بين القانون الطبيعي الذي يشـمل كل الاحياء والجمادات وهو خال من الحرية، وبين موهبة الحرية المعطاة فقط للإنسان. فيُعلّم في كتابه شرائع البلدان:[40]

حتمما وم حا ٥٥١ ٥حما ٥٥٨وحتم. احا حرخما وفحتمم ٥٥٥ نهتم حما ام شمما. حرخما وم وتحمم٥٥ ٥٥م وزخم ححبم. ام حتم ساوا ٥٥تحكما. ٥١ام وممما وا٨٥١.

[...] أما البشر فلا ينقادون بهذا الشكل. إنّما فيما يتعلّق بمراحل نمو أجسادهم، فهم يَتبعون (من غير إرادتهم) إلى قانون الطبيعة، مثلهم مثل باقي الاحياء. أما فيما يتعلّق بذهنهم، فانّهم يفعلون ما يشاؤون كأناس أحرار، أسياد أنفسهم، وعلى صورة الله ومثاله.

يتابع برديصان، فيقول:[41]

امحم وم وحساوما وبعم ححبم حمم ا٨ ٥٥تم انتم حمم احم ٥٥٥٨حسم. ٥١ ٥٥م انتم حمم سحم ٥٥٨حم.

الأمور التي نعملها بحريتنا، انْ كانت حسنة، فبها نتزكّى ونُمدَح. وانْ كانت سيئة، فبها نُدانُ ونتعرّى.

ومعظم تراث مار آفرام الكتابي يبرز أهمية الحرية في حياة الانسان الروحية والماديّة. يقول مار آفرام:[42]

---

[40] Han J.W. Drijvers, *The Book of the Laws of Countries: Dialogue on Fate of Bardaisan of Edessa*, Semitic Texts with Translations 3 (Assen: Van Gorcum, 1965): 22-23, 24-25.

[41] H. Drijvers, *The Book of the Laws of Countries*, 26-27.

[42] E. Beck, ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955), XXXI, 106.

ܗܘ ܕܢ ܠܚܐ ܘܒ ܡܪܐ ܒܚܡܗܢܐ. ܢܥܒ ܘܚܐ ܚܡܚܐ.

ܚܡܚ ܚܚ ܗܘܬܗܒ. ܘܢܥܒ ܚܪܚܒ ܘܐܒܒ ܪܗܘ ܗܗܒ ܚܡܬܡܐ ܘܒܐܘܐ ܡܚܒܐ.

ܐ ܗܗ ܡܪܚ ܕ ܚܪܚܐ ܗܗ ܘܒܒ ܐܒܒ. ܘܐܢܒ ܚܡܡܬܗܗ ܙ ܡܪܚ ܚ.

هوذا (الله) الصالح القادر جبراً انْ يجعلنا صالحين أمامه بلا عناء،

اعتنى بنا بكل الطرق الأخرى لنكون صالحين بإرادتنا الحرّة (ليس جبراً)

فلو انّه أصْلَحَنا (جبراً)، لأصْبَحنا شبه أصنامٍ (بلا حريّة)، يُزيّنها أخر كما يشاء.

وفي التطبيق "السياسي،" مثلاً، يُحذّر مار آفرام رجال الكنيسة من الانجرار وراء الحكّام لأيّة منفعة كانت: مادية أو اجتماعية أو سلطويّة أو "سياسيّة"، لانّ ذلك يكون ثمناً "لحريتنا." وكأنه يقول ان حريتنا هي هبة الله منذ الأزل، ولا يمكن مقايضتها بأي نفع كان. ففي نَصٍ كتبه بمناسبة تَعيين مار يعقوب النصيبيني لرئاسة كنيسة مدينة نصيبين، يقول مار آفرام مما يقوله:[43]

ܚܗܗܡܪ ܚܚܐ ܗܗܗܐ: ܘܗܐ ܗܙܐ ܚܐܘܐ...

ܚܒܐ ܚܩܐ ܐܗܗܗ: ܚܒܐ ܚܩܐ ܚ ܐܐ. ܘܐܗܗ ܐܐ ܘܐ

بوجودكَ، فليخزى النفع المادي، الذي صار ثمناً لحريتنا...

فلنُقلع عن العادات السيئة، فلا يجب على الكنيسة ان تنتفع بمقتنيات كثيرة، فلتكتفِ باقتنائها أرواح المؤمنين.

ويحدد نوع العلاقة ما بين المؤسستين الدينية والسياسية، فيُلزم المؤسسة الدينية بالصلاة للحكام من أجل انْ يحكموا بالعدل ويُثبّتوا الامن والسلام في مدنهم. يقول مار آفرام:[44]

ܙ ܗܡ ܚܩܐ ܗܩܚܐ: ܗܚܒܐ ܚܒܐ ܚܩܐ ܪܚ ܚܐ ܩܚܚܗ.

ܗܩܚܐ ܢܗܗ ܚܐ ܚܬܚܗ. ܗܗܐ ܘܚܗ ܚ ܗܗܐ ܚ ܗܙܐ ܘܚ.

[43] E. Beck, ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Carmina Nisibena, I*. CSCO 218-219, Syr. 92-93 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1961): 21:7-8, p. 56.

[44] E. Beck, ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955), 87:23, p. 271.

يا ربّ، صالح رجال الدين مع الملوك، وبكنيسة واحدة يُصلي رجال الدين من أجل حكامهم.

وعلى الحكّام ان يُظهروا العدل والرحمة في مدنهم. وليكن أمْننا الداخلي بكَ سورنا الحامي.

ويؤكّد مار آفرام على عمل المؤمنين وربط العمل الديني، كالصوم والصلاة، بعمل الخير وثماره، وإلا فلا نعمة بَل نَقمة. فمن أقواله التراثية المشهورة:

ܪܘܡ ܪܘܚܐ ܘܐܙܕܡܢ ܡܘܡܬܐ. ܘܘܕ ܚܣܡ ܚܐܠܐ ܘܚܣܐ.
صُم أربعين يوماً، وهب ما وَفّرته من طعام إلى من يحتاج الطعام.

وعلى خطى مار آفرام، ينشد مار يعقوب السروجي كالتالي:[45]

ܡܚܣܢ ܘܘ ܚܟܡܐ ܘܚܡܘܟܐ ܘܘܒܡܚܐ
ܘ݁ ܘܘ ܡܚ ܣܘܚܐ ܚܟܢ ܡܒܚܐ ܐܡ ܚܢܐ ܘܘ.
ܘ̈ܟ ܘܘ ܐܚܢ ܘܐܡܐ ܘܡܪܐ ܚܣܡܗ ܚܚܡܐ
ܘܘܟܐ ܣܘܚܐ ܐ ܡܪܐ ܟܗ ܘܟܐ ܡܐܙܐ ܘܘ.

ممجد هو اكليل البتولية والقداسة
فان فَقَدَ قديسٌ روح المحبة، أصبح من الفاسقين.
عظيمٌ هو أجرُ من يقسم رغيف خبزه مع الجائع
وَانْ خلَتْ قسمتُه من المحبة، فقد أضاعَ فائدة عمله.

أهمية العلم والتعليم

وعن العلم والتعليم، فهو ذو صلة متأصّلة في التراث السرياني والذي يعكس مظهر من مظاهر الحياة اليومية. يحثّ المعلم مار آفرام المُعلِم والمُتعلِم على الجدّ والاجتهاد في العلم، ويعتبره من الوصايا الربانية الفطرية للإنسان، فيقول:

ܐܟܡܐ ܘܘ ܡܚܟܡܐ: ܚܐܡܐ ܘܙܡ ܡܚܟܡܐ
ܡܟ݁ܙܚܐ ܘܡܚܟ ܡܚܢ݁: ܒܘܘܐ ܘܚܐ ܚܡܚܟܡܐ.

يا الله، هبْ العلم لِمَن أحبَّ العلم
والمعلمُ الذي يُعلّم جيداً، اجعله كبيراً في ملكوتك.

ويقول مار اسحق الانطاكي، من القرن الخامس، في ملحمة شعرية بليغة، تتألف من 233 بيتاً:[46]

ܡܚܟܡܐ ܡܟܣܐ ܘܘ ܘܒܡܐ: ܚܘ ܡܠܡܣܪܐ ܙܡܡܐ
ܠܚܡܐ ܣܟܡܐ ܘܡܟ݁ܒܪ: ܚܡܒܚܐ ܘܚܡܟܡܘ ܘ̈ܙ ܚܘ
ܐ ܐܚܡܒܐ ܚܐ ܚܡܘ: ܙܢ ܘܘ ܚ ܡܚܟܡܐ

[45] الاقتباس من فنقيث الصوم الكبير، لمار يعقوب السروجي.

[46] The Syriac text and English translation is published by A. Gharib, “Saint Isaac of Antioch’s Homily on The Love of Learning,” *Syriac Orthodox Patriarchal Journal* 58 (2020): 1-29.

ܐܠܗ ܗܝ ܚܕܘܚܗ ܬܚܟܟܐ: ܘܥܣܝ ܚܠܘܝ ܩܫܬܐ.

العلم ملحُ النفس، به يشْتَدُ ضعفها
إنّه الذوق الأصيل الذي يُلَذّذُ إدراك من تأمّل به كل يوم.
اجتهد به أيها التلميذ، فالعلم يكافئك كل حين
لاستثماره غلّات وافرة، منها يغتني المجتهدون به.

دور المرأة في المجتمع السرياني

إحدى القصَص التراثية القديمة عن المرأة السريانية تُخبِرنا انّ امرأةٌ من الرها خاطبت مار آفرام ساعة قدومه إليها، قائلة: كوني امرأة، فلي الحق انْ أرفعَ وجهي وأتطَلّع إلى الرجل لأنّي منه أُخِذتُ. أما الرجل فحقه ان يكبَّ وَجهَهُ نحو تراب الأرض لأنّه من هناك أُخِذَ.[47] بغضّ النظر عن تاريخية القصّة، فإنها تشير إلى اقتناع المرأة بأهميتها الكاملة في حياة المجتمع. وفي تقليد برديصان، يظهر دور اخته في إدارة شؤون تعليمية واجتماعية في مدينة الرها. ويُعرَف من كتابات مار آفرام، وما دُوِّن عنه لاحقاً، بانّه ركّز على الدور النسائي في الخدمات الاجتماعية والروحية. فقد تكلّم عن "أبناء وبنات العهد" ومسؤولياتهم وأعمالهم. وقد كتب عن عمله الناجح في اجتماعات الإنشاد وإعطاء الدور الأهم للنساء في التأديّة والخدمة. أما مار يعقوب السروجي، فقد امتدح هذه النهضة النسوية وخدماتها الدينية والاجتماعية. ومن باب البلاغة، كَنّى مار آفرام بنبي العهد الجديد، وأسماه "موسى الثاني" لتفعيله دور النساء في الكنيسة والمجتمع. يقول مار يعقوب السروجي:[48]

ܗܘ ܡܫܚܐ ܕܒܢܝ ܥܡܗ ܠܡܨܠܝ ܠܗ: ܡܫܚ ܒܢܬ ܥܡ ܟܠ ܡܢ ܕܡܨܠܝ ܠܟ.
ܐܡܪ ܠܗ ܠܐ ܐܫܬܩ ܠܗ: ܩܠ ܫܒܚ ܠܗ ܠܟ ܡܢ ܕܫܒܚ ܠܟ.
ܒܬ ܚܕܬ ܕܒܢܝ ܥܡܗ ܠܡܫܚ ܡܫܚ ܠܡܫܚ: ܡܫܚ ܒܢܬ ܠܟ ܡܢ ܕܡܫܚ ܠܟ.
ܐܡܪ ܠܗ ܠܐ ܐܫܬܩ ܠܗ ܡܫܚ ܒܢܬ ܚܕܬ ܠܡܫܚ: ܡܫܚ ܠܟ ܡܢ ܕܡܫܚ ܠܟ.

أمر موسى الحكيم بنات شعبه بألّا ينقطعوا عن واجب التسبيح.
وأيضاً المبارك (آفرام)، الذي صار موسى الثاني، علَّمَ بنات شعبه ترانيم عذبة للتسبيح.
البنات العبرانيات رأيَنَ خلاصاً فصَفَقنَ، وسَبّحنَ لِمخَلّصهنَّ، بأمر موسى.
وهكذا بتعليم آفرام المصطفى، هوذا البنات السريانيات (بنات الشعوب) تُمَجّدنَ المخَلّص العظيم.

وعن المساواة بين الرجل والمرأة، تكلم مار يعقوب السروجي عن عمل مار آفرام، فقال:[49]

ܚܘ ܠܐܚܬ ܐܒ ܐܫܬ ܠܡܡܫܚ: ܘܐ ܡܡܡ ܗܘ ܚܒܐ ܚܬܐ ܠܡܡܫܚ
ܡܘ ܡܐ ܡܚܢ ܘܚܬ ܫܐ ܡܐ ܡܫܟ: ܗܘ ܚܩܫ ܗܘ: ܘܚܡ ܚܬ
ܘܡܡܫ
ܫܐ ܫܒ ܘܒ ܬܩܫ ܚܬ: ܗܘ ܡܐ ܗܘ ܡܫܚ ܠܡܫܚ ܚܬ
ܚܫ ܗܘ ܫܒ ܡܫ ܐܡ ܐܡ ܘܡܫ: ܘܡ ܐܡ ܡܫ ܚܬ ܐ ܘ
ܒ

[47] J. Amar, *The Syriac Vita Tradition of Ephrem the Syrian*, CSCO 629-630, Syr. 242-243 (Louvain: Peeters, 2011), 27-28.
[48] J. Amar, *A Metrical Homily on Holy Mar Ephrem by Mar Jacob of Sarug: Critical Edition of the Syriac Text, Translation and Introduction*, Patrologia Orientalis 47.1 (Turnhout: Brepols, 1995), 36-37.
[49] J. Amar, *A Metrical Homily on Holy Mar Ephrem by Mar Jacob of Sarug*, 34-35.

بكَ، تَشجَّعت أخواتنا للتسبيح، بعد انْ مُنِعت النساء عن الكلام في الكنيسة.
تَعليمُكَ فَتح فمَ بنات حواء، وهوذا صدى أصواتهنَّ يَتَرَدّدُ بين جمهور المكان المكرَّم.
إنّها أخبار سارة جديدة انْ تتكلم المرأة بالبشارة، وها هي ذي تُدعى مُعلّمة في الكنيسة.
هدف تعليمك هو "العالم الجديد"، حيث يَستَوي هناك في الملكوت الرجال مع النساء.
عملُك أحدثَ قيثارتين لفرقتين، وأهّلتَ بالتساوي الرجالَ والنساء معاً للتسبيح.

يرى بعض العلماء المعاصرين انّ السريان الشرقيين الذين اهتدوا إلى المسيحية كانوا من خلفيات دينية محلّية، لاسيما الزردشتيّة أو المجوسية.[50] حتى انّ بعض الكتّاب السريان الأوائل رأوا في زرادشت، نَبي المجوس، أنّه كان من خلفية يهودية-آرامية، كما كتب مار يشوع-داد المرووي، مطران مدينة حديثة (ت 850).[51] وكان يُعتقد انّ خليفة زرادشت سيولد في مغارة. قد يكون هذا سبباً للقصص الشعبية المَحليّة والتفاسير الكثيرة لولادة السيد المسيح في "مغارة" بيت لحم، رغم خلو الكتاب المقدس من هذه الإشارة.[52] وحديث الكتّاب السريان الأوائل عن المجوس لم يكن حديثاً عن قومٍ من أقوام الفرس، بل عن السريان أنفُسِهم وعَن تاريخ معتقداتهم الدينية في بلاد النهرين قبل المسيحية، واهتدائهم للسيد المسيح بواسطة دعوته الخاصة لهم عن طريق النجم، "الشمس الجديدة" أو "شمس البر."[53] فعندما يتكلم الفيلسوف برديصان الرهاوي عن "علوم الشعوب،" يذكر في المقدمة "الكلدانية" وعلومها المُحَبّبة للكثيرين، ويؤكّد انّه يعرفها جيداً، وأحبّها كثيراً. وفي السياق يتبيّن انّه يقصد بالكلدانية "المجوسية".[54]

وعبر السنوات اللاحقة، ورغم تَغَيّر السياقات الكنسية، كذلك السياسية والديمغرافية للمنطقة، استمر السريان بالاعتزاز ببلادهم وتراثهم، على ما رأينا في كتابات مار آفرام، وبرديصان، وطيطيان الآثوري (ت 180).[55] في القرن الثامن، يُذَكِّر بطريركُ الكنيسة الشرقية، مار طيمثاوس الأول (وهو من منطقة أربيل الحالية)، العالمَ المسيحي بمراكزه الأربعة: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، وانطاكيا. يُذكّرهم بأهمية بلاده عبر تاريخ الخلاص، وينسب أصول السيد المسيح، بحسب الجسد، من خلال نسبه التاريخي العائد إلى بلاد ما بين النهرين: إبراهيم، ويعقوب وآلاسباط الذين نشأوا في بلاد ما بين النهرين، ثم ظهوره الروحي في بلاد النهرين بواسطة نور النجم الإعجازي، داعياً أبناء الشرق لأتباعه؛ واستجابة المجوس الاثني عشر (إلماعاً

---

[50] S. Brock, 'Christians in the Sasanian empire: a case of divided loyalties,' [in:] *Religion and national identity: Papers read at the 19th Summer Meeting and the 20th Winter Meeting of the Ecclesiastical History Society*, ed. by S. Mews, (Studies in Church History 18) (Oxford: 1982), p. 15, n. 65 (1–19).

[51] M. D. Gibson, ed. *The Commentaries of Isho^{c}dad of Merv Bishop of Isho^{c}dad (c. 850 A.D.) in Syriac and English*, Horae Semiticae 6 (Cambridge: University Press, 1911), 32; trans. (Horae Semiticae 5), 19.

[52] راجع متى 2:11؛ لوقا 2: 4-7.

[53] هذه تعابير من الكتاب المقدس فُهِمتْ على انّها تعابير نَبوئية مشيرة إلى السيد المسيح.

[54] H. Drijvers, *Book of the Laws*, 26-27.

[55] في كتابه، خطاب تجاه اليونانين، مقالة 42، يُظهر طيطيان أصالة فلسفة بلاده، فيقول: "أيها اليونانيون، لقد كتبت إليكم هذه الأمور، أنا طيطيانس الفيلسوف بحسب طريقة بلادي (البرابرة كما تدعونهم)، ولدت في بلاد آشور وتربيت أولاً حسب علومهم ومعتقداتهم..."
M. Whittaker, *Tatian:* Oratio ad Graecos *and fragments.* Oxford Early Christian Texts (Oxford: Oxford University Press, 1982).

لتلاميذ السيد المسيح الاثني عشر)، الذين يمثلون أبناء المشرق.[56] وبالتالي يرى مار طيمثاوس أولوية المكانة الكنسية للسريان المشارقة، بالمقارنة مع ما يمكن ان تكون عليه كنيسة روما، فيقول:[57]

ܗܟܢܐ ܐܦ ܠܟܘܪܣܝܐ ܡܢ ܕܝܠܢ ܡܕܢܚܝܐ: ܗܘ ܕܡܢܗ ܐܬܚܙܝ ܕܢܒܥ
ܩܕܡܝܬ ܡܒܘܥܐ ܕܚܝܐ ܐܡܪ ܐܝܬ ܘܦܘܪܩܢܐ. ܠܗܕܐ ܩܕܡܝܐ ܘܪܫܝܐ ܙܕܩ
ܕܬܬܢܛܪ. ܠܟܘܪܣܘܬ ܕܝܢ ܐܪܒܥܐ ܐܚܪܢܐ ܐܝܠܝܢ ܕܡܢܗܘܢ ܫܬܐ ܥܠܡܐ ܟܠܗ
ܡܫܩܝܐ ܪܘܚܢܝܐ: ܠܗܕܐ ܬܪܝܢܐ ܘܕܒܬܪܗ ܙܕܩ ܕܢܙܕܩܘܢ. ܐܢܗܘ ܓܝܪ ܕܠܪܗܘܡܐ
ܡܛܠ ܦܛܪܘܣ ܫܠܝܚܐ ܠܗܕܐ ܩܕܡܝܐ ܘܪܫܝܐ ܡܬܢܛܪ. ܟܡܐ ܐܪܐ ܡܟܝܠ
ܠܡܪܐܢ ܡܛܠ ܡܪܗ ܕܦܛܪܘܣ: ܠܣܠܝܩ ܘܩܛܝܣܦܘܢ. ܘܐܢܗܘ
ܕܠܗܕܐ ܡܢ ܩܕܡܝܐ ܘܕܪܓܐ ܠܐܝܠܝܢ ܕܩܕܡ ܟܠ ܐܘܕܝ ܘܗܝܡܢ ܒܡܫܝܚܐ
ܐܝܟ: ܚܢܢ ܕܝܢ ܒܢܝ ܡܕܢܚܐ ܩܕܡ ܟܠ ܐܘܕܝܢ ܘܗܝܡܢܢ ܒܡܫܝܚܐ. ܘܐܚܘܝܬ
ܕܗܝܡܢܘܬܢ ܒܝܕ ܫܠܝܚܝܢ ܬܪܥܣܪ ܗܢܘܢ ܕܡܢ ܟܘܟܒܐ
ܐܬܕܒܪܘ: ܘܩܘܪܒܢܐ ܠܘܬ ܗܢܘܢ ܕܩܪܒܘ ܠܗ.

كذلك بالنسبة إلى كرسيّنا المشرقي الذي تبيّن أنّ منه فاض أولاً ينبوع الحياة أي الخلاص، لذلك يجب انّ تُحفظ له المرتبة الأولى والرئيسة. أما الكراسي الأربعة الأخرى التي ينهل منها العالم الشراب الروحي، فتحقّ لها وجوباً المرتبة الثانية والتالية. فإن حُفظت لروما المرتبة الأولى والرئيسة بسبب بطرس الرسول، فكم بالأحرى لسليق-قطيسفون، بسبب ربّ بطرس. وإن حقّت المرتبة الأولى والدرجة الأولى لأول من اعترف وأمن بالمسيح، فنحن أبناء هذا المشرق أول من اعترف وآمن بالمسيح. وأعطينا دليلاً واضحاً على إيماننا من خلال سفرائنا الاثني عشر (المجوس) الذين اهتدوا بالنجم، وكذلك الهدايا التي قدّمناها له.

تفاعل السريان الثقافي مع اليونان

كما مَرَّ ذكره، فأنَّ تفاعل الأدب والثقافة السريانية مع نظيرتها اليونانية وثم الرومانية بَلَغت أوجها في العصور المسيحية الأولى. ونُقلَت أعمال أدبية كثيرة من اليونانية إلى السريانية، وأعمال سريانية إلى اليونانية. وَرغم إيجابية التبادل والتفاعل الثقافي، كان لليونان عموماً ووَرثتهم الرومان نظرة دونية لكل من ليس منهم، كَونَهم الغالبين سياسياً وعسكرياً. وقد رأينا الكثير من ردود السريان على هذه النزعة من

[56] في بلد "حاح" السريانية، في طور عبدين، ضمن الحدود الجنوبية-الشرقية لتركيا، محاذةً مع الحدود السورية، هناك كنيسة قديمة يُشار إليها بالكنيسة الأولى في المسيحية، وقد بناها المجوس بعد عودتهم من زيارة السيد المسيح وتقديم الهدايا والولاء له والايمان به. وانَّ القبب الصغيرة الاثني عشر للكنيسة تشير إلى االمجوس الاثني عشر.
للاطلاع على هذا التقليد السرياني عن ظهور النجم للمجوس، انظر المقالة الموجزة للبروفسور فيتولت فيتاكوسكي.
Witold Witakowski, "The Magi in Syriac Tradition," in *Malphono w-Rabo d-Malphone: Studies in Honor of Sebastian P. Brock*. Edited by Kiraz, George Anton. Gorgias Eastern Christian Studies 3 (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2008): 809-843.

[57] Françoise Briquel-Chatonnet et al. "Lettre du patriarche Timothée à Maranzekhā, évêque de Nineve", *Journal asiatique* 288:1 (2000): 1-13.

طيطيان الآثوري في كتابه *رد على اليونان*،[58] أو كتابات مار آفرام وآخرين. وكسابقيه من الكتّاب السريان، انتقد الفيلسوف السرياني من القرن السابع، ساويرا سابوخت (667، وهو من مدينة نصيبين)،[59] مغالاة معاصريه اليونان:

> فيما يختصّ بتأخّر المعرفة وقلّة العِلم عند الإغريق، دعوهم يصغون إلى ما قاله الإغريق أنفسهم. أنا أشير إلى أفلاطون، أوّل فيلسوف ذاع صيته بينهم، وإلى ما كتبه في "طيماوس بعد عودة سولون من مصر، أخبر حكيم الحكماء هذا أركيتانس بما سمعه من كاهن مصريّ طاعن في السنّ. فقد أخبره: آه، يا سولون، يا سولون! أنتم معشر الإغريق دائماً أطفال. ما مِن إغريقيّ نضج وشاخ. ثّم قال بعد ذلك: أنتم معشر الإغريق رُضَّع في نفوسكم، فليس لكم فيها أيّ رأي عتيق، أو أيّ تعليم عتّقه الزمان. تخطّتكم الكتابة بأجيال عدّة، وَمُتّم بدون صوت.

يبيّن ما اقتبسه ساويرا سابوخت أنّ اليونان لم يعرفوا الكتابة طوال عدّة أجيال عدة، إنما "ماتوا بدون صوت،" أي موت الأبكم غير العاقل. فكيف إذا يتباهى بعضهم بأنّهم أوّل مَن اكتشف علم الرياضيّات والفلك؟ "إنّ هذا لا يصحّ في الحالتين."

ما زلنا عند فيلسوف القرن السابع ساويرا سابوخت، الذي يُقدّر باحترام الثقافة الإنسانية التي يأخذ عنها من اليونان، كعلوم الفلك والحساب والاستطرلاب. فقد كتب في نظرية التحام الكواكب السبعة، وشرح بإسهاب عن "الكوكبات" والأصول الأسطوريّة لكثير من الأسماء اليونانيّة. ولأجل هذا الغرض يستعين بكتيّب مفيد جدّاً عن الميثولوجيا الإغريقيّة تُرجِم إلى السريانيّة. وقد جرى ذلك في صورة تعقيب جارٍ على التلميحات إلى شخصيّات ميثولوجيّة إغريقيّة في "أحاديث غريغوريوس النَّزيَنزيّ" (القرن الرابع) الذي تُرجِم مع الأحاديث ذاتها. وفي كتابه *عن الاستطرلاب* ذكر الأعداد العشرية الجارية عند الهنود. ويَذكر أن أهل الهند يفضلون فيها هذه الطريقة لحساب الأعداد على اليونان. وفي دراسته لهذا الكتاب، والذي أعدَّ نَصَّه السرياني وترجمه إلى الفرنسية، يستخلص البروفسور فرانسوا نو انّ العرب لم ينقلوا الأرقام الهندية مباشرة من بلادهم الأصلية أثناء العصر العباسي، وإنما أخذوها عن السريان.[60]

وعن اليونان أيضاً، أخذ السريان مبدأ فلسفة انّ الإنسان "عالم صغير،" ولكنهم توسّعوا في شرحه ليُضَمّنوه فلسفتهم المشرقية\ السريانية وتطبيقاتها على علوم عصرهم. فكتب احودمه (575، وهو من مدينة "بلد")[61] انَّ "لإنسان عالم صغير يصوّر الكون الكبير: فرأسه يمثّل السماء، ورجلاه تمثّلان الأرض، وبطنُه البحرَ، وعظامُه الجبالَ والتلالَ، وشعرُه النباتات، وعروقُه الأنهارِ، أمّا الدم الساري في البدن، فهو كالماء الساري

---

[58] M. Whittaker (ed. and trans.), *Tatian: Oratio ad Graecos and Fragments.* Oxford Early Christian Texts (Oxford: Oxford University Press, 1982).

[59] عند سيرة وأعمال ساويرا سابوخت انظر، أفرام برصوم، *اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية* (ط 6؛ حلب: دار ماردين للنشر، 1996)، 283-285.

[60] François Nau, "Le traité sur l'astrolabe plan de Sévère Sabokt, écrit au VIIe siècle d'après des sources grecques, et publié pour la première fois d'après un ms. de Berlin," *Journal asiatique* IX, 13 (1899): 56-101, 238-303.

وعن الموضوع ذاته، انظر فيليب طرازي، *عصر السريان الذهبي* (حلب: دار مكتبة العائلة، 1979)، 13.

[61] عن سيرته وأعماله، انظر أفرام برصوم، *اللؤلؤ المنثور*، 259-260.

في باطن الأرض. وفي شائج الحواسّ والمشاعر ترتسم المراتب العشر لعلماء البلاغة. ويحكم العقلُ الإنسانَ كما يحكم اللهُ الخلقَ."[62] أما معاصره، ميخائيل بادوقا، فاستخدم هذا الموضوع انّ الانسان "عالم صغير" ليوضّح العلاقة المتبادلة المتآلفة بين الخليقة والخالق، للرد على المرقونيين الذين يرفضون أي علاقة ما بين الخليقة والخالق الأعظم، أو ثنائية الوجود (عالم روحي ضد عالم مادي) بحسب معتقدات المانوية، أو من ألّهَ بعض الخلائق كالشمس أو القمر... الخ.[63]

في علم القواعد والنحو، أخذ السريان جانباً من نظام النحو المتبع عند اليونان لتطبيقه على ما يناسبه في اللغة السريانية. فالتاريخ ينسب إلى معلم مدرسة نصيبين، يوسف هوزايا (500)، ترجمة كتاب النحو للعالم اليوناني ديونيسيوس ثراكس (160–90 ق.م) إلى السريانية.[64] وبهذا العمل، أسّسَ للتعريف بمفاهيم قواعد اللغة وتسميتها بأسمائها. وقد أغنى هذا العملُ النظامَ القواعدي السرياني الذي كان يركّز على الدقّة في القراءة، والمعروف بالماسورا. وتبعه ثلّة من علماء اللغة السريان منذ القرن الثامن في تطوير هذه المفاهيم اللغوية والتوسّع بمضامينها. خلال تلك الفترة، وبشكل تدريجي، أصبحت اللغة العربية اللغة السائدة في الجغرافيا السوريّة، وقد أصبحت أعمال يوسف الأهوازي ويعقوب الرهاوي (640–708) وثاوفيلوس الرهاوي (ت 785) أساساً لنشأة النحو العربي في العصر العباسي.[65] وبإمكان المُتتبّع لمصطلحات النحو العربي ان يدرك بالمقارنة أثر النحو السرياني في اللغة العربية، مثل اسم الفاعل، واسم المفعول، والاسم والصفة والفعل والحرف والجملة الاسمية والجملة الفعلية...الخ. ويُلاحظ أحمد أمين تأثير مدرستي الحيرة وجنديسابور السريانيتين المجاورتين للبصرة والكوفة في نشأة النحو العربي، فيقول: "وكان طبيعياً أنْ ينشأ علم النحو في العراق...لأنّ الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام وكان لها قواعد نحوية فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصاً واللغتان من أصلٍ ساميّ واحدٍ. لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريون أولاً ثم الكوفيون."[66]

التفاعل مع اللغة والثقافة العربية

---

[62] G. Reinink, “Man as Microcosm: A Syriac Didactic Poem and its Prose Background,” Pages 123 - 152 in *Calliope’s Classroom: Studies in Didactic Poetry from Antiquity to the Renaissance*. Edited by Harder, Annette and MacDonald, Alasdair A. and Reinink, Gerrit J.. (Leuven: Peeters, 2007).

[63] Reinink, Gerrit J., "George Warda and Michael Badoqa", Pages 65-74 in *The Syriac Renaissance*. Edited by Teule, Herman G.B. and Tauwinkl, Carmen Fotescu and ter Haar Romeny, Robert Bas and van Ginkel, Jan. Eastern Christian Studies 9 (Leuven / Paris / Walpole, MA: Peeters, 2010).

[64] L. Van Rompay, “Yawsep Huzaya,” in S. Brock et al. (eds.), *GEDSH* (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2011), 437-438.

[65] L. I. Conrad, “Varietas Syriaca: Secular and scientific culture in the Christian communities of Syria after the Arab Conquest,” in *After Bardaisan*, ed. Reinink and Klugkist, 85–105

[66] أحمد أمين، *فجر الإسلام* (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، 202.

ومع مرور الوقت، ازدادت وتأصلت العلاقة بين العرب والسريان في كافة التفاصيل المتعلقة باللغة وبالتراث، لطالما هذا هو موضوعنا. تتميّز هذه العلاقة بكافة تفاصيل العيش المشترك بين السريان والعرب، والسريان الذين أسلموا فاندمجوا في المجتمع العربي–الإسلامي، وهم الأكثرية. بدأت هذه العلاقة منذ القرن السابع، مع سيطرة الجيوش العربية\الاسلامية على سوريا، طلبَ عمير بن سعد الانصاري[67](زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب) من البطريرك السرياني يوحنا أبو السدرات (648) ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية.[68] ويُعتَبَر هذا الحوار المكتوب من أقدم النصوص السريانية الحوارية مع المسلمين، والذي جرى ما بين الأمير عمير والبطريرك يوحنا.[69] وعموماً تجَلّى أوجه التعاون والتفاعل في كافة مجالات الحياة المهنية والفكرية والتعليمية. فيعقوب الرهاوي المعاصر للمراحل الأولى من استقرار مجتمع "المهاجرين، ܡܗܓܪܢܐ" أي العرب المسلمين في المجتمع السوري أجاز في إحدى رسائله (بالسريانية) قبول "أولاد المهاجرين" في كل المدارس السريانية. كما أنّه يدعو إلى معاملة السريان الذين تَبِعوا "دين المهاجرين" معاملة طبيعية، وإنْ عادوا إلى دينهم، فلا يجب التشدّد معهم.[70] في هكذا وسط اجتماعي وثقافي، استمرّ دور السريان وَتكلّل وجه التفاعل الثقافي مع تأسيس الخليفة المأمون لـ "دار الحكمة." وقد كُتِبَ كثيرٌ عن الإنجازات الأدبية والعلمية لدار الحكمة، والتي أصبحت مفخرة ما قدمته الدولة العباسية للعرب والعالم، وكان للسريان دورٌ رياديٌ في التأليف وَالترجمة من السريانية إلى العربية، ومن اليونانية إلى السريانية إلى العربية. يُلَخّص محمد الابراشي، في كتابه *الآداب السامية*، دور السريان في الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية، والذي شمل مواد واسعة من أمهات الكتب في المنطق والفلسفة والطب والرياضيات والفلك، ذاكراً أثر هذا العمل في النهضة الفكرية العربية، ويقول: "فقد وثبت بفضل هذه الحركة الوثبة الثانية بعد النهضة الأولى التي نهضتها بعد نزول القرآن." ويضيف الأبراشي "وقد أثَّرت هذه الترجمات في الحياة العقلية العربية تأثيراً سريعاً فعَّالاً، فلم ينقض القرن الثالث الهجري حتى استيقظت العقلية العربية، وأقبل المسلمون على الدراسات الفلسفية إقبالاً عظيماً، وظهر من المسلمين كثير من فحول الفلاسفة وفي مقدِّمتهم يعقوب بن اسحق الكندي، وأبو نصر الفارابي، والرئيس ابن سينا، وإخوان الصفا. كما أثَّرت في العلوم والمباحث الإسلاميّة نفسَها، فاصطبغت بالصبغة الفلسفية وظهر علم الكلام."[71]

---

[67] A. Palmer, S. Brock, R. Hoyland, *The Seventh Century in the West-Syrian Chronicles* (Liverpool: Liverpool University Press, 1993), 169.

[68] J-B. Abbeloos, T.J. Lamy, *Gregorii Barhebraei Chronicon* (Paris/Louvain: Maisonneuve/Peeters, 1874), 275.

[69] عبد المسيح سعدي، "أقدم النصوص الحوارية مع المسلمين: رسالة البطريرك السرياني يوحنا أبو السدرات،" *مجلة سيمتا* 3:9 (2009): 76-96.

[70] R. Hoyland, "Jacob and Early Islamic Edessa," in Bas ter Harr Romeny, ed., *Jacob of Edessa and Syriac Culture of His Day* (Leiden: Brill, 2008), 11-24, see esp. 18. وعن سيرة ومؤلفات يعقوب الرهاوي، انظر: أفرام برصوم، *اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية* (ط 6؛ حلب: دار ماردين للنشر، 1996)، 291-303.

[71] محمد عطية الأبراشي، *الآداب السامية* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1946)، 73.

الحياة أخذٌ وعطاء، فكما ساهم السريان في العطاء، هكذا جَنوا من تفاعلهم الإيجابي والمسالم دائماً. ففي القرن الثالث عشر، كان الأثر الثقافي العربي واضحاً في معظم صنوف الادب واللغة السريانية. فالعالِم السرياني، أبو الفرج ابن العبري (1286) يَوضّح لقارئيه السريان بغنى الآداب والعلوم العربية في عصره فيقول مما يقوله:[72] "ܘܩܡܘ ܒܗܘܢ ܦܝܠܣܘܦܐ ܘܡܬܡܛܝܩܝܐ ܘܐܣܘ̈ܬܐ ܕܥܠܘ ܠܟܠܗܘܢ ܚܟܝ̈ܡܐ ܩܕ̈ܡܝܐ ܒܚܟܡܬܐ. ܟܕ ܠܐ ܒܢܘ ܥܠ ܫܬܐܣܬܐ ܐܚܪܢܝܬܐ ܣܛܪ ܝܘܢܝܬܐ: ܐܠܐ ܒܢܘ ܕܝܘܢܝܐ ܒܢܝ̈ܢܐ: ܪ̈ܘܪܒܐ ܒܡܠܠܗܘܢ ܡܨܚܝܐ ܘܒܚܘܪܐ ܚܬܝܬܐ ܕܠܐ ܡܫܬܠܡܢ. ܐܝܟܢܐ ܕܚܢܢ ܗܢܘܢ ܕܩܒܠܢ ܠܚܟܡܬܐ ܡܢ ܡܬܪ̈ܓܡܢܐ: ܕܟܠܗܘܢ ܣܘܪ̈ܝܝܐ: ܗܐ ܡܢܗܘܢ ܐܬܡܢܝܢ ܠܡܫܐܠ ܚܟܡܬܐ.

وقام بينهم (بين العرب المسلمين) فلاسفة وعلماء الحساب وأطباء تفَوّقوا بدقتهم عَمّن سبقهم. لم يبنوا هذه العلوم على أسسٍ سوى الأسس اليونانية.[73] أقاموا (العرب) الإنشاءات الحكمية العظيمة بتعابيرهم الدقيقة وبحوثهم المتماسكة. حتّى اننا، نحن الذين أعطيناهم الحكمة بواسطة المترجمين السريان بمجملهم، ها نحن نسألَهم عن الحكمة."

في مسعى لتعزيز الثقافة العربية في الأدب السرياني، فقد ألّف ابن العبري كتاب *القصص المضحكة*.[74] فهذا العمل ما هو إلا تَبَنّ وإضافة مثل هذا النوع من الأدب المألوف في التراث العربي إلى الادب السرياني. فقد نهل ابن العبري من كتاب أبو سعد المنصور (1030) المُعنون: *من نثر الدُرر*،[75] وقد أعادَ صياغة معظم قصصه لتناسب المجتمع السرياني في حاضره وماضيه.

وعندما ننتقل إلى المرحلة التالية، عصر الإمبراطورية العثمانية الممتدة إلى أربعة قرون، نجد سباتاً مدقعاً في الادبين العربي والسرياني. فمن المثير للانتباه والمفارقة انْ نجد عدد الاعمال الأدبية العربية أو الإسلامية في هذه المرحلة شحيحة جداً لا تتجاوز عدد أصابع اليد، رغم ادعاء الإمبراطورية العثمانية الخلافة؛ وكل ما كتب بالعربية لا يزيد عما نجده من عَدد الأعمال الأدبية السريانية. يمكننا ان نحلِل الأسباب، ونلوم من نلوم، فقد أصبحت هذه الحقبة جزءاً من التاريخ فحسب.

---

[72] Paulus Bedjan, ed. *Gregorii Barhebræi Chronicon Syriacum e codd. mss. emendatum ac punctis vocalibus adnotationibusque locupletatum* (Paris: Maisonneuve, 1890), P. 98. For translation, see E. Budge, ed. *The Chronography of Gregory Abû'l Faraj, the Son of Aaron, the Hebrew Physician, Commonly known as Bar Hebraeus, Being the First Part of His Political History of the World* (London: Oxford University Press, 1932), P. 92.

[73] في السياق، يوضّح ابن العبري انَّ هذه الأسس تُرجمت من اللغة اليونانية إلى السريانية؛ وفي القرن التاسع تُرجمت من السريانية إلى العربية.

[74] E. A. Willis Budge, ed. *The Laughable Stories Collected by Mâr Gregory John Bar-Hebræus, Maphrian of the East from A.D. 1264 to 1268*, Luzac's Semitic Text and Translation Series 1 (London: Luzac and Co., 1897).

[75] مظهر الحجي (إعداد)، *من نثر الدّر للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الأبي* (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997).

أما في مرحلة الدولة الوطنية الجديدة، فقد أعيد تنشيط اللغة العربية وآدابها. أما السريانية وآدابها، وهو موضوعنا هنا، فقد حُرمت من النشاط من قبل السلطات الحاكمة، تحت ذرائع عقائدية مختلفة متخلفة: سياسية، طائفية، برجوازية، ديماغوجيّة، تقدميّة، تأخريّه..."إلى أخريَّة،" وإلى ما هنالك مما "يجعل الإنسان عدو نفسه." ولكي أبقى في مجال الادب المكتوب بالسريانية، فبرغم الظروف غير المؤاتية، ورغماً عن هكذا ظروف، استمر النشاط باللغة السريانية بجهود فردية بشكل مُطَّرِد إلى حد ما. وظهر بعض الكتّاب باللغة السريانية كالملفان عبد المسيح قرباشي، والملفان يوحانون قاشيشو، والملفان ابروهوم نورؤ. وبهمّة شبيبة السريان في القامشلي، ظهرت لأول مرّة الاغنية السريانية الشَّعبية في اللهجة السريانية المُعاصرة في الستينات من القرن العشرين.

وهناك الكثير مما يمكن قوله عن هجرة السريان إلى الغرب وما خلفته من سلبيات على المجتمع، ولكن بعض إيجابياتها هي وفرة حرية التفكير والكتابة والتأليف لمن يشاء. ففي أقل من عشر سنوات، أصبح للسريان عشرات الصحف والمجلات باللغة السريانية الفُصحَى، وَالمحكيَة المعاصرة؛ وبمجهود شخصي في أغلب الأحيان، ظهرت مؤلفات سريانية كثيرة تتناول موَاضيع متنوعة، أدبية، اجتماعية، قصصية، روحانية، وسياسية. وَتُرجِم الكتاب المقدس لأول مرّة إلى اللغة السريانية المعاصرةظ.

بينما نعاين تنكّر الوطن السوري لجانبٍ أساسي من تراثه، التراث السرياني التاريخي، رابط أوصال تاريخه القديم بالحديث، نَرى مؤسسات علمية وجامعات غربية تحتضن هذه التراث كقيمة إنسانية، تاريخية، وفكرية مشرقية. ويحزّ في قلبي، كسرياني غير مقيم في سوريا، انْ ألاقي اكاديميات صينيّة تراسل جامعتي في الولايات المتحدة تطلب مساعدتي في قراءة وتحليل وتوثيق آثار ونصوص سريانية مكتشفة حديثاً في الصين. كان بالأحرى انْ يتّجه العالم الأكاديمي بأسره إلى سوريا لأخذ "الخبر اليقين،" ولكن عند من "الخبر اليقين؟"

فعلى رفوف مكتبة جامعتي السابقة، جامعة شيكاغو، هناك آلاف المخطوطات السريانية المُصوّرة والتي تعود إلى الفترة ما بين القرنَين السادس والسادس عشر. كان لي الشرف أن أقوم بعملية التعريف بهذه المخطوطات وتوثيقها وفهرسة معظمها. صَرّح الدكتور الراحل آرثر فوبوس، أحد المساهمين في جمع هذه المخطوطات، بما يلي: "هناك أكثر من 200,000 ورقة غير معروفة (للوسط الأكاديمي) في عهدتي الآن... وتشمل المواضيع التالية: التاريخ، الأدب، علم الآبائيات، السِّيَر، الكتب المقدسة، التفاسير، المواعظ، علم الأسباب، الخدمات، والشعر... لقد مَلأتُ خزائن غنية بوثائق للبحث والمعرفة والعلوم."[76]

[76] A. Vööbus, *The Professor Arthur Vööbus Collection of Syriac Manuscripts on Film* (Chicago: 1982), 13, 16.

ثبت المراجع

الأبراشي، محمد عطية. *الآداب السامية* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1946).

أمين، أحمد. *ضحى الإسلام: نشأة العلوم في العصر العباسي الأول* (ج 2؛ القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2003).

..... *فجر الإسلام* (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).

برصوم، أفرام. *اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية* (ط 6؛ حلب: دار ماردين للنشر، 1996).

بهنام، بولس. *أحيقار الحكيم* (بغداد: 1976).

الحجي، مظهر. (إعداد). *من نثر الدّر للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الأبي* (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997).

فريحة، أنيس. *أحيقار: حكيم من الشَّرق الأدنى القديم* (بيروت: 1962).

السامرائي، إبراهيم. *دراسات في اللغتين السريانية والعربية* (بيروت: دار الجيل، 1985)،

سعدي، سعد. "السريان تسمية ودلالة،" مجلةكرمو (1999): العدد 1: 2، 5-34.

سعدي، سعد. *الأرومة السريانية للهجة الماردينية* (طبعة ثانية؛ دهوك: دار المشرق الثقافية، 2021).

سعدي، عبد المسيح. "أقدم النصوص الحوارية مع المسلمين: رسالة البطريرك السرياني يوحنا أبو السدرات،" *مجلة سيمتا* 3:9 (2009): 76-96.

شمعون، غريغوريوس صليبا. "اللغة السريانية: ماضيها وحاضرها،" *مجلة بين النهرين* (1973): العدد 1، 13-35.

طرازي، فيليب. *عصر السريان الذهبي* (حلب: دار مكتبة العائلة، 1979).

القلقشندي، أبي العباس احمد. *صبح الأعشى* (ج 1؛ القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922).

Amar, Joseph. *A Metrical Homily on Holy Mar Ephrem by Mar Jacob of Sarug: Critical Edition of the Syriac Text, Translation and Introduction*, Patrologia Orientalis 47.1 (Turnhout: Brepols, 1995).

…….. *The Syriac Vita Tradition of Ephrem the Syrian*, CSCO 629-630, Syr. 242-243 (Louvain: Peeters, 2011)

Beck, Edmund. ed. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955).

…….. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Fide*, CSCO 154, Syr. 73 (Louvain: L. Durbecq, 1955).

…….. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen auf Abraham Kidunaya und Julianos Saba*, CSCO 322, Syr. 140 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1972).

…….. *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen de Nativitate (Epiphania)*, CSCO 186, Syr. 82 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1959).

…….. *Des heiligen Ephraem des Syrers Carmina Nisibena, I*. CSCO 218-219, Syr. 92-93 (Louvain: Secrétariat du CorpusSCO, 1961).

Bedjan, Paulus. *Acta martyrum et sanctorum* (Paris / Leipzig: Otto Harrassowitz, 1892) vol. 3, 3–167. (Syr.).

…….. *Homiliae selectae Mar-Jacobi Sarugensis* vol. 1 (Paris: Harrassowitz, 1905).

…… *Gregorii Barhebræi Chronicon Syriacum e codd. mss. emendatum ac punctis vocalibus adnotationibusque locupletatum* (Paris: Maisonneuve, 1890), P. 98. For translation, see E. Budge, ed. *The Chronography of Gregory Abû'l Faraj, the Son of Aaron, the Hebrew Physician, Commonly known as Bar Hebraeus, Being the First Part of His Political History of the World* (London: Oxford University Press, 1932).

Brock, Sebastian. "The Dispute Poem: From Sumer to Syriac," *Bayn al-Nahrayn* 7 [28] (1979): 417-426.

……. "Ahiqar," in S. Brock et al. (eds.) GEDSH (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2011), 11-12.

……. "Christians in the Sasanian empire: a case of divided loyalties," [in:] *Religion and national identity: Papers read at the 19th Summer Meeting and the 20th Winter Meeting of the Ecclesiastical History Society*, ed. by S. Mews, Studies in Church History 18 (Oxford: 1982), 1-19.

……. "The Dispute between Soul and Body: An Example of a Long-Lived Mesopotamian Literary Genre," *ARAM* 1:1 (1989): 64.

……. "Secular Literature," Pages 451-474 in *Nos sources. Arts et littérature syriaques*. Sources syriaques 1 (Antélias: Centre d'Études et de Recherches Orientales, 2005).

……. "The Syriac Orient: A Third 'Lung' for the Church?" *Orientalia Christiana Periodica* 71:1 (2005): 5-20.

Briquel-Chatonnet, Françoise and Jullien, Florence and Jullien, Christelle and Moulin Paliard, Christine and Rashed, Marwan and Rashed, Marwan, "Lettre du patriarche Timothée à Maranzekhā, évêque de Nineve", *Journal asiatique* 288:1 (2000): 1-13.

Budge, Ernest Alfred Willis. *The Book of the Cave of Treasures: A History of the Patriarchs and the Kings, Their Successors, from the Creation to the Crucifixion of Christ, Translated from the Syriac Text of the British Museum MS. Add. 25875* (London: The Religious Tract Society, 1927).

……. *The Laughable Stories Collected by Mâr Gregory John Bar-Hebræus, Maphrian of the East from A.D. 1264 to 1268*, Luzac's Semitic Text and Translation Series 1 (London: Luzac and Co., 1897).

Charlesworth, James H. *The Odes of Solomon: The Syriac Texts*, SBL Texts and Translations 13 (Missoula, Montana: Scholars Press, 1977).

Conrad, L. I. "Varietas Syriaca: Secular and scientific culture in the Christian communities of Syria after the Arab Conquest," in *After Bardaisan*, ed. Reinink and Klugkist, 85–105

Drijvers, Han J. and Healey, John. *The Old Syriac Inscriptions of Edessa and Osrhoene: Texts, Translations and Commentary* (Leiden/ Boston/ Koln: Brill, 1998).

Drijvers, Han J.W. *The Book of the Laws of Countries: Dialogue on Fate of Bardaisan of Edessa*, Semitic Texts with Translations 3 (Assen: Van Gorcum, 1965).

……. *The Book of the Laws of Countries: Dialogue on Fate of Bardaisan of Edessa*, Semitic Texts with Translations 3 (Assen: Van Gorcum, 1965).

……."Bardaisan of Edessa and the Hermetica: The Aramaic Philosopher and the Philosophy of his Time," *Ex Oriente Lux* 21 (1970): 190-210.

Gzella, Holger. tr. Suchard, B. *Aramaic: A History of the First World Language* (Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 2021).

Gharib, A. "Saint Isaac of Antioch's Homily on The Love of Learning," *Syriac Orthodox Patriarchal Journal* 58 (2020): 1-29.

Gibson, M. D. ed. *The Commentaries of Isho^{c}dad of Merv Bishop of Isho^{c}dad (c. 850 A.D.) in Syriac and English*, Horae Semiticae 6 (Cambridge: University Press, 1911), 32; trans. (Horae Semiticae 5).

Hoyland, Robert. "Jacob and Early Islamic Edessa," in Bas ter Harr Romeny, ed., *Jacob of Edessa and Syriac Culture of His Day* (Leiden: Brill, 2008), 11-24.

Huehnergard, John. The Semitic Languages, 2nd ed. London and New York: Routledge, 2019.

Landsberger, J. *Die Fabeln des Sophos: Syrisches Original der griechischen Fabeln des Syntapis* (Posen: Louis Merzbach, 1859).

Mingana, Alphonse. "An Ancient Syriac Translation of the Ḳur'ān Exhibiting New Verses and Variants," *Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester* 9:1 (1925): 188-235.

Nau, François. “Le traité sur l’astrolabe plan de Sévère Sabokt, écrit au VIIe siècle d’après des sources grecques, et publié pour la première fois d’après un ms. de Berlin,” *Journal asiatique* IX, 13 (1899): 56-101, 238-303.

Oates, Whitney J. *Basic Writings of St. Augustine*, Vol. 2 (Grand Rapids: Baker Books, 1992).

Palmer, Andrew. and Hoyland, Robert. And Brock, S. *The Seventh Century in the West-Syrian Chronicles* (Liverpool: Liverpool University Press, 1993).

Reinink, Gerrit J. “Man as Microcosm: A Syriac Didactic Poem and its Prose Background,” Pages 123 - 152 in *Calliope’s Classroom: Studies in Didactic Poetry from Antiquity to the Renaissance*. Edited by Harder, Annette and MacDonald, Alasdair A. and Reinink, Gerrit J.. (Leuven: Peeters, 2007).

…….. "George Warda and Michael Badoqa", Pages 65-74 in *The Syriac Renaissance*. Edited by Teule, Herman G.B. and Tauwinkl, Carmen Fotescu and ter Haar Romeny, Robert Bas and van Ginkel, Jan. Eastern Christian Studies 9 (Leuven / Paris / Walpole, MA: Peeters, 2010).

Saadi, Abdul Massih. *The Commentary of Moshe bar Kepha on the Gospel of Luke* (Piscataway: Gorgias Press, 2020).

…….. *Moshe Bar Kepha’s Cause of the Celebration of the Nativity: A Genre for Exegesis, Ecumenism, and Apology* (Piscataway: Gorgias Press, 2017).

Tonneau, Raymond Marie. ed. *Sancti Ephraem Syri in Genesim et in Exodum commentarii*. CSCO 152-153, Syr. 71-72 (Louvain: L. Durbecq, 1955).

Van Rompay, Lucas. “Yawsep Huzaya,” in S. Brock et al. (eds.), *GEDSH* (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2011), 437-438.

Whittaker, Molly. *Tatian:* Oratio ad Graecos *and fragments.* Oxford Early Christian Texts (Oxford: Oxford University Press, 1982).

Vööbus, Arthur. *The Professor Arthur Vööbus Collection of Syriac Manuscripts on Film* (Chicago: 1982).

Witakowski, Witold. “The Magi in Syriac Tradition,” in *Malphono w-Rabo d-Malphone: Studies in Honor of Sebastian P. Brock*. Edited by Kiraz, George Anton. Gorgias Eastern Christian Studies 3 (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2008): 809-843.

Yildiz, Efrem. “The Aramaic Language and Its Classification.” *Journal of Assyrian Academic Studies* 14:1 (2000): 23-44.

ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ

اللغة السريانية
إضاءة جوانب من التراث السرياني

البروفيسور. د. عبد المسيح سعدي

ܒܝܬ ܡܕܪܫܐ ܣܘܪܝܝܐ ܐܠܟܬܪܘܢܝܐ

المدرسة السريانية الإلكترونية

Syriac Electronic School